

الجمال ونص سفر التكوين

بقلم أريك ليونز

يمكن القول بأن المفارقة التاريخية المزعومة الأكثر استخداما (وهي نظرية تعرف باسم الفرضية الوثائقية) لدعم فكرة أن موسى لم يكتب الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، هي الروايات حول امتلاك الآباء الأوائل للإبل. تظهر كلمة "جمل (بصيغة المفرد)" ٢٣ مرة في ٢١ آية من سفر التكوين. يعلن الكتاب الأول من الكتاب المقدس أن الإبل كانت موجودة في مصر في أيام إبراهيم (١٢: ١٤-١٧)، في فلسطين في أيام إسحاق (٢٤: ٦٣)، في فدان آرام بينما كان يعقوب يعمل للابان (٤٣: ٣٠)، وامتلكها المدينيون خلال فترة بيع يوسف إلى العبودية في مصر (٣٧: ٢٥، ٣٦). يقينا، يعلم كتاب البدايات بوضوح أنه تم استئناس الإبل منذ زمن إبراهيم على أقل تقدير.

ولكن وفقا للمتشككين (وعدد متزايد من العلماء الليبراليين)، فإن فكرة أن الجمال كانت مستأنسة في زمن إبراهيم تتناقض بشكل مباشر مع الأدلة الأثرية. إذ كتب ت. ك. شين منذ أكثر من مائة عام: "إن التأكيد على أن المصريين القدماء عرفوا الإبل لا أساس له" (١٨٩٩، ١: ٦٣٤). وفي كتابه الذي يعتبر مرجعا حول مختلف حيوانات الكتاب المقدس، يعلن جورج كانسدل:

يذكر الكتاب المقدس الجمل لأول مرة في تكوين ١٦: ١٢، ضمن عدد الهدايا التي منحها فرعون لأبرام. يعتبر هذا عموما إضافة قام بها أحد النساخ لاحقا، إذ يبدو من غير المرجح أنه كانت هناك أية جمال في مصر في ذلك الوقت (١٩٧٠، ص ٦٦، أضيف التشديد).

وفي الأونة الأخيرة، أكد فينكلستين وسيلبرمان بثقة:

نحن نعلم الآن من خلال الابحاث الأثرية أن الإبل لم تكن مستأنسة كحيوانات لحمل الأثقال قبل أواخر الألفية الثانية، ولم تستخدم على نطاق واسع بهذه الصفة في الشرق الأدنى القديم حتى بعد عام ١٠٠٠ قبل الميلاد (٢٠٠١، ص ٣٧، أضيف التشديد).

على سبيل الخلاصة، ما يقال للمؤمن بالكتاب المقدس هو: "لم تكن الإبل المستأنسة ببساطة معروفة في أيام إبراهيم" (توبن، ٢٠٠٠).

في حين أن هذه الادعاءات قد أقيمت مرارا وتكرارا على مدى القرن الماضي، فإن حقيقة الأمر هي أن المتشككين واللاهوتيين الليبراليين ليسوا قادرين على الاستشهاد بقطعة واحدة من الأدلة الأثرية الموثوقة لدعم ادعاءاتهم. وكما ذكر راندال يونكر من جامعة أندروز في آذار من عام ٢٠٠٠ أثناء خطاب ألقاه في الجمهورية الدومنيكية: "من الواضح أن العلماء الذين نقوا وجود الإبل المستأنسة في الألفية الثانية قبل الميلاد قد ارتكبوا مغالطة الجدل الذي يستند على عدم وجود الأدلة. لا ينبغي السماح لهذا النهج أن يلقي ظلال الشك على صحة أي وثيقة تاريخية، ناهيك عن الكتاب المقدس" (٢٠٠٠). في الواقع، يجب أن يقع عبء البرهان على المتشككين لإثبات أن الجمال لم تكن مستأنسة حتى ما بعد زمن الآباء، بدلا من ذلك، فإنهم يؤكدون لمستمعهم عدم وجود الإبل في أيام إبراهيم - دون دليل أثري واحد. [تذكر، أنهم قد جادلوا لسنوات عديدة أيضا، بأن الكتابة لم تكن معروفة في أيام موسى، وهو استنتاج قائم كليا على "عدم وجود الأدلة". لكنهم استدركوا تلك الفكرة بعد أن تم العثور على أدلة تثبت عكس ذلك. قد يظن المرء بأن من شأن هؤلاء "العلماء" أن يتعلموا عدم التحدث بمثل هذه الثقة عندما يجادلون بناء على غياب الأدلة.]

ما يجعل مزاعمهم أكثر إثارة للقلق هو وجود عدة قطع من الأدلة (والتي قد تم العثور عليها لبعض الوقت) التي تثبت بأن الإبل كانت قد استأنست خلال (وحتى قبل) أيام إبراهيم (حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد). في مقالة نشرتها مجلة دراسات الشرق الأدنى منذ نصف قرن، أدرج الأستاذ جوزيف فري عدة أمثلة من الاكتشافات الأثرية المصرية التي تدعم تدجين الإبل [ملاحظة: اخذت تواريخ السلالات المصرية من كلايتون، ٢٠٠١، ص ١٤-٦٨]. يأتي أقرب الأدلة من قطعة فخار على شكل رأس جمل وأخرى من الطين النضيج مزينة برسوم رجال يركبون ويقودون جمالا. وفقا لفري، تعود هاتان القطعتان على حد سواء إلى عصر ما قبل السلالات الحاكمة في مصر (پري دايناستيك) (١٩٤٤، ص ١٨٩-١٩٠)، أي ما قبل عام ٣١٥٠ قبل الميلاد تقريبا وفقا لكلايتون. أدرج فري أيضا ثلاثة رؤوس جمال من الطين وإناء من الحجر الجيري في شكل جمل مستلق - والتي تعود تواريخها جميعا إلى السلالة الحاكمة الأولى في مصر (٢٨٩٠-٣٠٥٠ قبل الميلاد). ثم ذكر عدة نماذج من الإبل من السلالة الحاكمة الرابعة (٢٦١٣-٢٤٩٨ قبل الميلاد)، ونحن على الصخر يصور رجلا وجملا يعود تاريخه إلى السلالة السادسة (٢٣٤٥-٢١٨٤ قبل الميلاد). وقد دفعت هذه الأدلة أحد علماء المصريات المحترمين إلى استنتاج أن "الأدلة الحالية تشير بوضوح إلى أن الجمل المستأنس كان معروفا [في مصر] قبل عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد" - أي قبل زمن إبراهيم بوقت طويل (كيتشن، ١٩٨٠، ١: ٢٢٨).

ولعل أكثر الاكتشافات إقناعا بتدجين الإبل في مصر هو حبل مصنوع من شعر الجمل في الفيوم (واحة تقع جنوب غرب القاهرة الحديثة). تم العثور على الحبل المقتول من ضفيريّتين من الشعر، والذي بلغ طوله ما يزيد قليلا على ثلاثة أقدام، في أواخر العشرينات، وأرسل إلى متحف التاريخ الطبيعي حيث تم تحليله ومقارنته مع شعر العديد من الحيوانات المختلفة. بعد اختبارات كثيرة، تقرر أنه شعر جمل، يعود تاريخه (من خلال تحليل طبقة الأرض التي وجد فيها) إلى السلالة المصرية الثالثة أو الرابعة

(٢٦٨٦-٢٤٩٨ قبل الميلاد). في مقالته، أدرج فري كذلك العديد من الاكتشافات الأخرى من حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد ولاحقا، والتي أظهرت الجمال كحيوانات أليفة (ص ١٨٩-١٩٠).

على الرغم من غزارتها في مصر، فإن الاكتشافات المتعلقة بتدجين الجمال لا تقتصر على القارة الأفريقية. في كتابه "الشرق القديم والعهد القديم"، ذكر البروفسور كينيث كيتشن (المتقاعد) من جامعة ليثربول العديد من الاكتشافات خارج نطاق مصر مقيما الدليل على تدجين الإبل قديما في حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد. كما وتم الكشف عن سجلات معجمية من بلاد ما بين النهرين التي تظهر معرفة بالإبل المستأنسة تعود الى هذه الفترة. وتم العثور على عظام الجمال في حطام المنازل في تل حريري في سوريا الحالية التي يعتقد علماء الأحافير انها تبلغ هي الاخرى ما لا يقل عن ٤٠٠٠ عام. علاوة على ذلك، تم اكتشاف نص سومري من زمن إبراهيم في مدينة نيبور القديمة (الواقعة فيما يعرف حاليا بجنوب شرق العراق) والذي يشير بوضوح الى تدجين الإبل من خلال تلميحاته إلى حليب الإبل (كيتشن، ١٩٦٦، ص ٧٩).

تدعم جميع هذه الاكتشافات الموثقة تدجين الجمال في مصر قبل عدة سنوات من زمن إبراهيم. مع ذلك، وكما لاحظ يونكر بحق، يرفض المتشككون الاعتراف بأي من هذه الأدلة.

من الجدير بالانتباه ملاحظة كيف أنه، بمجرد أن توضع فكرة ما كمادة مطبوعة، فإنها تترسخ في التفكير العلمي التقليدي. أتذكر انني خلال إجراء بحث حول موقع حماة القديم في سوريا، عثرت مصادفة أثناء قراءة تقارير الحفر (المنشورة باللغة الفرنسية)، على إشارة إلى تمثال من الألفية الثانية والتي اعتقد الحفار الذي وجده انه لا بد وان يكون حصانا، إلا ان السنام الغريب في منتصف ظهره يذكر المرء بالجمال. نظرت إلى الصورة وكان من الواضح أنه تمثال جمل! كان العالم متأثرا بالفكرة القائلة بأن الجمال لم تستخدم حتى الألفية الأولى، إلى حد أنه عندما وجد تمثالا لجمل من الألفية الثانية، شعر بأنه مضطر إلى أن يدعوه حصانا! هذا مثال كلاسيكي على المنطق الدائري (أي استخدام هذا لإثبات ذلك، واستخدام ذلك لإثبات هذا) (٢٠٠٠، جمل اعترافية في الأصل).

ليست الاكتشافات المتعلقة بتدجين الإبل في الألفية الثانية قبل الميلاد واسعة الانتشار كما هي عليه في الألفية الأولى. لا يدعم هذا دعوى المتشككين، بل مجرد أن الجمال لم تستخدم على نطاق واسع خلال زمن إبراهيم كما جرى في وقت لاحق، ولا يعني أنها لم تكن مدجنة كلية، كما علق فري:

يبدو أن كثيرا من الذين رفضوا هذه الإشارة إلى الجمال التي امتلكها إبراهيم قد افترضوا شيئا لا يذكره النص. **يجب أن نلاحظ بعناية أن المرجع الانجيلي لا يوحي بضرورة شيوع الجمل في مصر في ذلك الوقت**، كما أنه لا يبرهن على أن المصريين كانوا قد أحرزوا تقدما كبيرا في تربية وترويض الإبل. إنه يقول فقط أن إبراهيم امتلك جمالا (١٩٤٤، ص ١٩١، أضيف التشديد).

بالمثل، أشار يونكر:

لا يعني هذا أن الإبل المستأنسة وجدت بوفرة واستخدمت على نطاق واسع في كل مكان في الشرق الأدنى القديم في أوائل الألفية الثانية. ومع ذلك، فإن روايات الآباء لا تتطلب بالضرورة أعدادا كبيرة من الجمال بل إن العدد الاقل من الأدلة على تدجين الإبل في أواخر الألفية الثالثة وأوائل الألفية الثانية قبل الميلاد، وخاصة في فلسطين، يتفق مع هذا الاستخدام المحدود (١٩٩٧، ٥٢:٤٢).

وحتى بدون الاكتشافات الأثرية المذكورة أعلاه (والتي تثبت للفاحص غير المتحيز أن الإبل كانت مستأنسة في زمن إبراهيم)، يبدو من المعقول أن نستخلص أنه، بما أن الجمال البرية كانت معروفة منذ الخليقة، "لا يوجد سبب معقول، كي لا يكون مثل هذا الحيوان الذي لا غنى عنه في الأراضي الصحراوية وشبه القاحلة، مستأنسا في اماكن متناثرة في أزمنة الآباء وحتى قبل ذلك" ("المملكة الحيوانية"، ١٩٨٨). الحقيقة هي أن جميع الأدلة المتاحة تشير إلى استنتاج واحد، ألا وهو الاستخدام المحدود للإبل المستأنسة خلال وما قبل زمن إبراهيم. ليست "المفارقة التاريخية" المفترضة لاستئناس الإبل خلال زمن الآباء في الواقع سوى إشارة تاريخية فعلية لاستخدام هذه الحيوانات في ذلك الوقت. ليس في وسع أولئك الذين يرفضون هذا الاستنتاج أن يبرزوا قطعة واحدة من الأدلة الأثرية الموثوقة لتأييد حجتهم. إنهم ببساطة يجادلون بناء على "صمت" علم الآثار ... الذي لم يعد صامتا!

المراجع

- "المملكة الحيوانية" (١٩٨٨)، قاموس أنكر الجديد للكتاب المقدس (قاعدة بيانات إلكترونية: بايبل سوفت).
- جورج كاندليل (١٩٧٠)، جميع الحيوانات في أراضي الكتاب المقدس (غراند رابيدز، ميشيغان: زوندرفان).
- ت. ك. شين (١٨٩٩)، موسوعة الكتاب المقدس (لندن: ا. و سي. بلاك).
- بيتر أ. كلايتون، (٢٠٠١)، أخبار الفراعنة (لندن: تيمز وهودسون).
- فنكلستين، إسرائيل ونيل أشر سيلبرمان (٢٠٠١)، اكتشف الكتاب المقدس (نيويورك: الصحافة الحرة).
- جوزيف بي. فري (١٩٤٤)، "جمال إبراهيم"، مجلة دراسات الشرق الأدنى، ٣: ١٨٧-١٩٣، تموز.
- ك. ا. كيتشن (١٩٦٦)، الشرق القديم والعهد القديم (شيكاغو، إيلينوي: مطبعة إنثيرفارسي).
ك. ا. كيتشن (١٩٨٠)، معجم الكتاب المقدس المصور، أد. جي. دي. دوغلاس (ويتون، إيلينوي: تاينديل).
- بول ن. توبن (٢٠٠٠)، "العنصر الأسطوري في قصة إبراهيم وروايات الآباء"، إشباع رهان باسكال [على الانترنت]،
<http://www.geocities.com/paulIntobin/abraham.html>
- راندا دلبليو. يونكر (١٩٧٧)، "نقوش الجمل في أواخر العصر البرونزي في وادي نسيب، سيناء"، نشرة جمعية الشرق الأدنى الأثرية، ٤٢: ٤٧-٥٤.
- راندا دلبليو. يونكر (٢٠٠٠)، "الإنجيل وعلم الآثار"، ندوة حول الكتاب المقدس ومنحة السبتيين الدراسية [على الانترنت]،
http://www.aiias.edu/ict/vol_26B/26Bcc_457-47htm.

جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة ٢٠٠٢، أبولوجيتكس برس

يسعدنا منح الأذن لاستنساخ المواد المدرجة في قسم "التناقضات المزعومة" في مجملها، شريطة مراعاة البنود التالية: (١) يجب تسمية موقع أبولوجيتكس برس بوصفه الناشر الأصلي؛ (٢) يجب نشر عنوان الموقع الإلكتروني المحدد للمادة الأصلية؛ (٣) يجب أن يبقى اسم المؤلف مصاحباً للمادة؛ (٤) يجب تضمين أية مراجع، حواشي، أو تعليقات ختامية مصاحبة للمقال مع أي استنساخ خطي للمقال؛ (٥) يمنع إجراء أي نوع من التعديلات منعا باتا (على سبيل المثال، الصور، الرسوم البيانية، الرسومات، الاقتباسات، وما إلى ذلك يجب أن تستنسخ بالضبط كما تظهر في النص الأصلي)؛ (٦) يسمح باستنساخ المواد المكتوبة بشكل متسلسل (على سبيل المثال، نشر المقال في عدة أجزاء) طالما أن إنتاج المادة بشكل كلي يصبح متاحاً، دون تحرير، في غضون مدة معقولة من الزمن؛ (٧) لا يجوز عرض المواد للبيع، كليا كان أم جزئياً، ولا يجوز أن تدرج ضمن مواد أخرى معروضة للبيع؛ (٨) يجوز استنساخ المقالات بشكل إلكتروني لنشرها على مواقع الإنترنت طالما أنه لم يتم تحرير أو تغيير مضمونها الأصلي، وبشرط أن تنسب المقالات إلى موقع أبولوجيتكس برس، بما في ذلك العنوان الإلكتروني على شبكة الإنترنت الذي أخذت منه المقالات.